DOI: fqhj.v1i43.16046/10.36324

المنهج الكلامي عند السيد الخوئي في تفسيره (البيان)

م.د. محمود عبد الحسين عبد علي الثعالبي

جامعة ميسان/ كلية التربية

الملـخّـص

إن في دراسة مناهج متكلمي الإسلام (قدماء ومحدثين) يرشدنا إلى أحوال الماضين من الأمة الإسلامية في أخلاقهم وسيرهم وكتاباتهم ، وبذلك تتم فائدة الاقتداء بهم، وردود متكلمي الشيعة بالخصوص ودفاعهم عن القرآن الكريم وإعجازه كثيرة ومتنوعة، سواء المنفصلة منها بكتب مستقلة او المبثوثة والمتفرقة في ثنايا كتب التفاسير والإعجاز والبلاغة، فيستقرئ منها الناظر شموخ الأسلوب في بلاغته، وقوة الاستدلال في رصانته سواء العقلي منه أو النقلي – قرآن وسنة – ، وعمق المعاني في دقتها، المتفرعة من رسوخ العقيدة بإعجاز القرآن والإيمان بعصمته وهذه المحاولة لإلقاء الضوء على شخصية قرانيه معاصرة ، وإماطة اللثام عن جهوده الكلامية المتميزة في دفاعه عن أعجاز القرآن الكريم وعصمته بمنهج كلامي رصين ، ذلك هو المحقق والمدقق السيد الخوئي (قدس) والقطب الذي دارت حوله الحركة العلمية في النجف الأشرف وكتابه (البيان في تفسير القرآن) هو الأنموذج الذي رد فيه (قدس) شبهات الطاعنين في نبوة خاتم الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) والمشككين في أعجاز القرآن وعصمته، قسمت الدراسة على ثلاثة مباحث وخاتمة سبقهن مقدمة وتمهيد .

الكلمات المفتاحية: المَنهَجُ، الكلام، السيّد الخوئي، تفسيـر (البيـان).

Summary

In studying the curricula of the theologians of Islam (ancient and modern), it guides us to the conditions of the past of the Islamic nation in their morals, their lives, and their writings, and thus the benefit of imitating them is achieved. Books of interpretations, miracles, and rhetoric, so the beholder reads from them the loftiness of the style in its rhetoric, the power of inference in its sobriety, whether it is rational or textual from it - Qur'an and Sunnah -, and the depth of meanings in its accuracy, branching from the firmness of the belief in the miraculousness of the Qur'an and belief in its infallibility. The disclosure of his distinguished verbal efforts in his defense of the miracles of the Noble Qur'an and its infallibility with a sober verbal approach. Those who challenge the prophethood of the Seal of the Messengers (may God bless him and his family and grant him peace) and doubt the miraculousness of the Qur'an and its infallibility. The study was divided into three topics and a conclusion, preceded by an introduction and a preface.

key words: The methodology, the discourse, Sayyid al-Khoei, the interpretation

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، إن الاطلاع على مناهج متكلمي الإسلام (قدماء ومحدثين) جم الفوائد شريف الغاية، إذ يرشدنا إلى أحوال الماضين من الأمة الإسلامية في أخلاقهم وسيرهم وكتاباتهم، وبذلك تتم فائدة الاقتداء بهم لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، وردود متكلمي الشيعة بالخصوص ودفاعهم عن القرآن الكريم وأعجازه كثيرة ومتنوعة، سواء المنفصلة منها بكتب مستقلة او المبثوثة والمتفرقة في ثنايا كتب التفاسير والإعجاز والبلاغة، فيستقرئ منها الناظر شموخ الأسلوب في بلاغته، وقوة الاستدلال في رصانته سواء العقلي منه أو ألنقلي – قرآن وسنة –، وعمق المعاني في دقتها، المتفرعة من رسوخ العقيدة بإعجاز القرآن والإيمان بعصمته وهو الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (سورة فصلت: الآية / ٤٢)، وهذه المحاولة البسيطة تهدف الى الكشف عن شخصية قرانيه معاصرة، وإماطة اللثام عن جهوده الكلامية المتميزة في دفاعه عن أعجاز القرآن الكريم وعصمته بمنهج كلامي رصين، ذلك هم المحقق والمدقق السيد الخوئي (قدس) والقطب الذي دارت حوله الحركة العلمية في النجف الأشرف وكتابه (البيان في تفسير القرآن) هو الأنموذج الذي رد فيه (قدس) شبهات الطاعنين في نبوة خاتم الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) والمشككين في أعجاز القرآن وعصمته، لذا كان هذا البحث في ثلاثة مباحث وخاتمة سبقهن مقدمة وتمهيد: يتكون من محورين، الأول: بينّا فيه (الكلام) و(لمنهج)في اللغة والاصطلاح، وفي الثاني: بينّا حياة السيد الخوئي(قدس) بشكل موجز، إما المبحث الأول: فتناول الشبهات حول النبوة، وتضمن ثلاثة مطالب، الأول: كان في رد

شبهات دعوة النبوة، والثاني: رد الشبهات التي حول أميّته(صلى الله عليه وآله وسلم)، والثالث: كان في رد الشبهات التي حول معجزاته الأخرى غير القرآن، أما المبحث الثاني: فتضمن مطلبين: الأول: رد الشبهات التي حول تحريف القرآن، والثاني: رد الشبهات التي حول تناقض القرآن، وكان الثالث: في فتناول الشبهات التي حول إعجاز القران: وتضمن أربعة مطالب: كان الأول: في رد الشبهة القول بالصرفة، والثاني: في رد شبهة الخوف من معارضته، والثالث: في رد شبهة خصوص إعجازه بالعرب، وكان الرابع: في رد شبهة مخالفته لقواعد اللغة العربية، من ثم ختمنا بحثنا بأهم النتائج التي توصلنا له .

والله المستعان وإليه القصد وعليه الثواب

التمهيد

ارتأينا قبل الدخول في غمار البحث لزوم بيان جانبين مهمين :

الأول: بيان معنى لفظتي (**المنهج**) و(**علم الكلام**) في اللغة والاصطلاح.

الثاني: تعريف موجز بحياة العلاّمة السيد الخوئي (قدس).

الجانب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي (للمنهج) و(علم الكلام):

المنهج لغة:

مشتق من الفعل نَهَجَ، يقال نَهَجتُ الطريق سَلَكتُه، طريق نَهُج: واسع واضح، والمنهج: الطريق، قال الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجا﴾ (سورة المائدة: من الآية / ٤٨)، والمنهاج: الطريق الواضح، واستنهج الطريق: صار واضحاً بيّناً، ونهج الأمر أوضحه، وجمع منهج :مناهج[١].

في الاصطلاح :

ومن المعنى اللغوي أعلاه خرجت معانٍ اصطلاحية تتقارب في المعنى وإن اختلفت في والصياغة، ومنها: تعريف(د.عبد اللطيف محمد) بأنه: «خطوات منتظمة يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها إلى أن يصل إلى نتيجة معينة» [٢]، ويختصره (د. علي جواد الطاهر) قائلاً: «المنهج في ابسط تعريفاته وأشملها طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة»[٣] .

الكلام لغة: هو اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكلام والكلم جمع كلمة، والكلماتي: المنطيق [٤] .

ومن هذه التعريفات المتقاربة السابقة يتضح أن المنهج: هو الطريقة أو الوسيلة

التي يتبعها الباحث لبلوغ النتيجة أو الهدف الذي يريد.

علم الكلام اصطلاحاً: هو العلم بالقواعد الشرعية و الاعتقادية المكتسب من أدلتها اليقينية [٥].

وهي آيات القرآن الكريم وكان المتكلم يستدل بآيات القرآنية في رد الشبهات حتى قيل سمي بذلك؛ لأنه يخوض في كلام الله – القرآن الكريم – ويدافع عنه ويرد شبهات المنكرين لإعجازه وغيرها من المسائل وأشهرها كان مسألة كلام الله تعالى – القرآن الكريم – أهو قديم أم حادث، ومن التعريفات السابقة جميعاً يتضح أن المنهج الكلامي: هو الطريقة التي يتبعها المتكلم في إثبات أو إبطال المسائل الاعتقادية التي يريد.

الجانب الثاني: ترجمة مختصرة بحياة السيد الخوئي (قدس):

هو السيد أبو القاسم بن السيد علي الأكبر بن السيد هاشم تاج الدين الذي يصل نسبه السيد إبراهيم المجاب (دفين الروضة الحسينية) بن السيد محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، ولد السيد الخوئي(١٨٩٩م / ١٤١٧ه)[٦]، في مدينة خوي التابعة إلى محافظة أذربيجان الغربية في إيران، وانتقل مع والده بعد حادثة المشروطة في إيران إلى النجف الاشرف الإكمال دراسته فيها وعمره أنداك ١٣ سنة، وقد شرع السيد تحت رعاية والده العالم السيد علي الأكبر بتحصيل العلوم الحوزوية ولنبوغه (قدس) وعبقريته أكمل مرحلتي (المقدمات والسطوح) بفترة وجيزة وحضر دروس المرحلة الأخيرة (البحث الخارج) وعمره ٢١ سنة ودرس البحث الخارج (الدراسات العليا) في الحوزة العلمية تحت أكابر علماء عصره أمثال :

آية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني (١٢٨٢-١٣٥٠هـ).

آية الله السيـد محمد حسين النائيني (١٢٧٦-١٣٤٥هـ).

آية الله أغا ضياء الدين العراقي (١٢٧٨-١٣٦١هـ).

آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٤-١٣٥٢هـ).

آية الله السيـد محسـن الحكيـم (١٣٣٥-١٣٩٧هـ).

وبعد رحيل أستاذيه (النائيني، والعراقي) نال السيد قصب السبق في تدريس البحث الخارج، والتميز درسه وشهرته كان يحضر درسه ما يقارب ٤٠٠ طالب من مختلف البلدان الإسلامية حتى ذاع صيته (قدس) لأسلوبه العلمي الرفيع وتحقيقه البارع وتدقيقه في المسائل مما وسمه بأنه صاحب مدرسة خاصة، مما أهلة لبلوغ مكانة المرجعية عن جدارة وبعد رحيل السيد محسن الحكيم (قدس) ١٩٧٠م، صار السيد الخوئي مرجعاً للشيعة وزعيماً للحوزة العلمية بلا منازع وقد تخرج على يديه كثير من الطلاب البارزين الذين صاروا فيما بعد مجتهدين ومراجع ومنهم :

آية الله السيد الشهيد محمد باقر الصدر(قدس) .

آية الله السيد علي الحسيني السيستاني .

آية السيد الشهيد محمد صادق الصدر (قدس).

آية الله الشيخ وحيد الخراساني .

آية الله السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم .

آية الله السيد عبد الأعلى السبزواري (قدس).

آية الله الشيخ محمد إسحاق الفياض .

آية الله الشيخ بشير حسين ألنجفي .

آية الله السيد مرتضى البروجردي (قدس).

اية الله الشيخ علي الغروي (قدس).

وقد ترك (قدس) ارث علمي كبير ومؤلفات كثيرة أهمها :

البيان في تفسير القرآن .

أجود التقريرات في أصول الفقه .

معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة (موسوعة في علم الرجال تقع في ٢٤ مجلداً).

منهاج الصالحين: رسالة عملية في مجلدين .

تعليقة على العروة الوثقى (للشيخ محمد تقي اليزدي)، وهي بيان لآرائه (قدس) الفقهية على مسائل الكتاب المذكور .

مناسك الحج: رسالة في بيان إحكام الحج ومسائله .

نفحات الإعجاز: رسالة في الرد على المشككين في إعجاز القرآن الكريم .

المسائل المنتخبة .

رسالة في اللباس المشكوك .

توضيح المسائل .

مصباح الفقاهة .وانتقل (قدس) إلى جوار ربه في ١٩٩٢م /١٤١٣ ه في النجف الاشرف ودفن فيها عن عمر ٩٢ سنة[٧]، قضاها في خدمة العلم والإسلام، فرحم الله مرجعنا السيد الخوئي يوم ولد ويم مات ويوم يبعث حيا .

المبحث الأول

الشبهات التي حول النبي ﷺ

وضم هذا المبحث ما ورد من شبهات حول دعوة النبوة، واميّة النبي محمـد(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومعجزاته الأخرى غير القرآن الكريم ورد السيد الخوئي (قدس) لها، فكان هذا المبحث في ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: دعوة النبوة .

المطلب الثاني: أميّة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) .

المطلب الثالث: معجزاته الأخرى غير القرآن الكريم .

المطلب الأول: دعوة النبوة:

لابد كما هو مسلم به لمن يدعي النبوة أو أي منصب الإلهي آخر، أن يأتي (بمعجزة) تثبت صدق دعواه.

المعجزة لغة: من عجز يعجز عجزاً فهو عاجز، أي ضعيف، وأعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، والعجز: نقيض الحزم، وعاجز فلان: حين ذهب فلم يقدر عليه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (سورة العنكبوت :من الآية / ٢٢)، والعجز، بالفتح: نقيض الحزم، والعجوز والمعجز والمعجزة، والعجوز، بالضم، كقعود: الضعف وعدم القدرة، وفي المفردات للراغب، والبصائر وغيرهما: العجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره، وصار في العرف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة»[٨] .

المعجزة اصطلاحاً: هي «أمر يظهر بخلاف العادة التي على يدي مدّعي النبوة، مع تحديّه قومه بها، ومع عجز قومه عن معارضته بمثلها، على وجه يدل صدقه » [٩]، وعرّفها السيد الخوئي(قدس)، بأنها: «ما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه»[١٠]، لكن دلالة المعجزة على صدق مدعي النبوة متوقف على القول بأن العقل يحكم بقبح أن يكون الله الملك القادر المحافظ على مصالح العباد إن يصدق هذا المدعي الكاذب بأن يوقع المعجزة على يده، لأنه بذلك يريد الفساد العبادة حاشاه وهذا محال، إلا أن (الاشاعرة (*))، ينكرون القول (بالحسن والقبح العقليين)[١١]، ويمنعون حكم العقل بذلك وعليه يلزم منه سد باب التصديق بالنبوة، لأن بهذا القول لا يمكن لأحد ان يميّز بين مدعي النبوة الصادق من الكاذب ولا تكون المعجزة دليلاً على صدق مدعي النبوة إذ لا يقبح في العقل أن تظهر المعجزة على يد الكاذب، وقد أجاب(أبن روزبهان) أحد متكلمي الاشاعرة عن هذا الإشكال: « أن فعل القبيح وأن كان ممكناً على الله تعالى ولكن عادة الله قد جرت على تخصيص المعجزة بالصادق، فلا تظهر معجزة على يد الكاذب»[١٢]، وعليه يلزم منه سد باب التصديق بالنبوة على قول الاشاعرة، **ويرى السيد(قدس) أن هذا القول ضعيف ومتفكك العرى ورده من وجوه عدة :**

أولاً: إن العادة التي ذكرها (ابن روزبهان) لا تدرك بالحس، وعليه فأنها كما يقول (قدس): «ينحصر طريق العلم بها بالعقل، وإذا امتنع على الغفل أن يحكم بالحسن والقبح – كما يراه الأشعري – لم يكن لأحد أن يعلم باستقرار هذه العادة لله تعالى»[١٣].

ثانياً: أن أثبات العادة التي ذكرها (ابن روزبهان) يتوقف على تصديق الأنبياء السابقين أصحاب المعجزات، ومن ثم كما يقول (قدس): «نعلم أن عادة الله قد

استقرت على تخصيص المعجزة بالصادق، أما المنكرون لتلك النبوات، أو المشككون فيها فلا طريق لهم إلى إثبات هذه العادة التي يدّعيها (ابن روزبهان) فلا تقوم عليهم الحجة بالمعجزة»(١٤) .

ثالثاً: إذا أنكرنا (الحسن والقبح العقليين) كما يقول الاشاعرة ولم يحكم العقل بأي حسن وقبح وتساوى في نظره الفعل والترك، فعليه كما يقول (قدس): «أي مانع يمنع الله أن يغير عادته ؟وهو القادر المطلق الذي لا يُسأل عما يفعل، فيظهر المعجزة على يد الكاذب»(١٥) .

رابعاً: أن هذه العادة كما يقول: «من الأمور الحادثة التي تحصل من تكرار العمل، وهو يحتاج إلى مضي زمان، وعلى هذا فما الحجة على ثبوت النبوة الأولى الثابتة قبل أن تستقر هذه العادة»(١٦) .

المطلب الثاني: أميّـة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

صرح القرآن الكريم في عدد من آياته بن النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) أميّ منها: ﴿ الَّذِين يَتَّبِعُونَ الرَّسُول النَّبِيَّ الأُمِّيَّ.. ﴾ (سورة الأعراف: من آلاية / ١٥٧)، وقولة تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللهّ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهّ وَكَلِمَاتِه وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (سورة الأعراف: من آلاية /١٥٨)، بل أكثر من هذا فقد بيّن القرآن الكريم أن قوم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والناس الذين كان يعيش بينهم وبُعث فيهم وأليهم كانوا أمّيّن لا يعرفون القراءة والكتابة، فقال تعالى: «﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّين رَسُولاً مِّنْهُمْ .. ﴾ (سورة الجمعة: من الآية / ٢)، وقال ايضاً (صلى الله عليه وآله وسلم): « أنّا أمة أميّة لا نكتب لا نحسب الشهر هكذا

وهكذا»[١٧]، كما انه(صلى الله عليه وآله وسلم) رغم سيادته على جميع الخلق بالفصاحة وبلاغة أكد معنى الآيات السابقة فقال: (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر»[١٨]، إلا أن المشككين من غير المسلمين والذين لا يؤمنون بالقرآن الكريم وما جاء به يثيرون شبهة عدم أمّيّته (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه كان يعرف القراءة والكتابة، فيقول أحدهم »: لابد لنا من إبعاد شبهة استولت على عقول المسلمين وتجذرت فيهم، وهي أمّيّة محمد، وتعني في نظرهم، أن محمداً كان يجهل القراءة»[١٩]، وليس هذا فقط بل يدعون انه (صلى الله عليه وآله وسلم)أكتسب علمه ومعارفه من مثقفي عصره ومن أهل الكتاب، وأنه أخذ أخبار الأولين والتاريخ والعلوم الأخرى من خلال اطلاعه على كتبهم(التوراة والإنجيل) وأن ما أتى من آيات أنما تعلمها ودرسها على يد (ورقه بن نوفل)، فيقول أحدهم: «أما العلم الذي كان محمد يجهله وقد تكفل القس بإعطائه لتلميذه الروحي فهو علم الكتاب المنزل الذي كان القس ينقله في حضور محمد طوال أربع وأربعين سنة، هذا العلم درسه النبي على القس في الإنجيل العبراني»[٢٠]، ولو تنازلنا وفرضنا جدلاً كما يدعي الخصوم بأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس أمّياً وكان يعرف القراءة والكتابة وأنه اكتسب معارفه وعلومه من الذين نشأ بين أظهرهم، أليس كانوا هؤلاء أمّيّون ووثنيون يعتقدون بالأوهام ويؤمنون بالخرافات ومنهم الكتابيون الذين يأخذون معارفهم وتأريخهم وأحكامهم من كتب العهدين التي ينسبونها إلى الوحي ويعزونها إلى الأنبياء السابقين (عليهم السلام)، إذن فالمفروض أن ينعكس ضلال هذه العقائد على أقواله ومعارفه التي أكتسبها من معلمّيه (كورقة بن نوفل) ومن مصادر ثقافته وعلمه، بينما ترى مخالفة القرآن الكريم للكتاب المقدس (كتب العهدين القديم والجديد) في جميع النواحي، **وقد رد السيد**

الخوئي (قدس) هذه الشبهة ببيان هذه المخالفة من جهتين :

الأولى: في ذكر الله تعالى وتوحيده :

الأول: في الكتاب المقدس: فقد ورد وصف الله تعالى في كتب العهدين بصفات المخلوقين التي لا تليق بعظمة الله تعالى وجلاله، ومنها :

أنه تعالى له قلب ويحزن ويتأسف حاشاه :« فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه »[٢١] .

أنه تعالى يتمشى وله صورة حاشاه: «فراهما الرب وهو يتمشى في الجنة، فاختبأ آدم وحواء ومنه فنادي الله آدم أين أنت؟ فقال آدم: سمعت صوتك فاختبأت»[٢٢]

أنه أب للبشر حاشاه: « أبانا الذي في السماوات»[٢٣] .

أنه تعالى يستريح من العمل حاشاه: « وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله»[٢٤] .

الثاني: القرآن الكريم: فقد بيّن (قدس) أنه ورد في كثير من آيات ذكر الله جل شأن [٢٥]، ومنها :

قال تعالى: ﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُو الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة البقرة: الآية / ١٦٣) .

قال تعالى: ﴿لاّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبصاروهو اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الأنعام: الآية / ١٠٣) .

قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيز الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الحشر: الآية / ٢٣) .

قال تعالى: ﴿ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة الحشر: الآية / ٢٤) .

الثانية: في ذكر الأنبياء (عليهم السلام) .

الأول: الكتاب المقدس: تعرضت كتب العهدين القديم والجديد لذكر الأنبياء (عليهم السلام) وللأسف نسبت إليهم الكذب والزنا والتآمر على الآخرين وشرب الخمر حاشاهم فوصفتهم بما لا يليق بمكانتهم المقدسة ولصقت بهؤلاء السفراء الإبرار بما لا يتناسب ومنزلتهم الإلهية السامية، وقد ذكر السيد (قدس) الكثير منها، آلا أنا نكتفي بذكر بعضها بما يتناسب وحجم البحث وهي :

النبي إبراهيم (عليه السلام) حاشاه يكذب على الفرعون فيخبره ان السيدة (سارة) أخته فيتزوجها الأخير: « إبراهيم أدعى أمام فرعون أن سارة أخته وكنم أنها زوجته، فأخذها فرعون لجمالها وصنع إلى إبراهيم خيراً .. وحين علم أن سارة كانت زوجة إبراهيم وليست أخته قال له: لماذا لم تخبرني أنها امرأتك .. حتى أخذتها لي لتكون زوجتي»(٢٦) .

ابنتي النبي لوط(عليه السلام) يمارسن الزنا معه حاشاه: «الكبيرة قالت لأختها: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا، تعالي نسقي أبانا خمراً، ونضطجع معه فنحيي من أبانا نسلاً فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة اضطجعت معه الكبيرة، وفي الليلة الثانية سقتاه خمراً أيضاً، ودخلت معه الصغيرة فحملتا منه وولت البكر أبناً وسمته (موآب) وهو أب الموآبيين، وولدت الصغيرة أبناً فسمته (بزعمي) وهو أبو بني عمون الى اليوم »(٢٧) .

النبي داوّد (عليه السلام) يزني بامرأة أحد جنوده ومن ثم يتخلص من زوجها

حاشاه: « أن داوّد زنى بامرأة " أوريا " المجاهد المؤمن، وحملت من ذلك الزنا وفي الصباح كتب داوّد إلى يوآب: أحيلوا أوريا فيوجه الحرب الشديد .. وقد فعل يوآب ذلك فقتل أوريا» .

السيد المسيح (عليه السلام) يصنع للناس خمراً، وكذلك يشرب خمراً حاشاه: « أن المسيح حضر مجلس عرس فنفذ الخمر، فعمل لهم ستة أجران من الخمر بطريق المعجزة »[٢٨]، وأيضاً عنه (عليه السلام): « إن المسيح كان يشرب الخمر، بل كان شريب خمر كثير الشرب لها »[٢٩] .

الثاني: القرآن الكريم: تعرضت آيات القرآن الكريم لذكر الأنبياء (عليهم السلام) فوصفتهم بكل جميل ينبغي أن يوصفوا به، ونسبت لهم كل مأثرة كريمة تلازم قداسة النبوة، ونزاهة السفارة الإلهية وقد ذكر السيد (قدس) كثير من الآيات التي تبين قداسة الأنبياء (عليهم السلام)[٣٠]، ومنها :

قال تعالى: في النبي إبراهيم (عليه السلام): ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (سورة الزخرف: الآية / ٢٦)، وقال: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة البقرة: الآية / ١٣٠)، وقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (سورة هود: الآية / ٧٥) .

قال تعالى: في النبي لوط (عليه السلام): ﴿وَإِنَّ لُوطاً لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (سورة الصافات: الآية / ١٣٣)، وقال فيه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (سورة الشعراء: الآية / ١٦١)، وقال: ﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: الآية / ٧٤)

وقال: ﴿وَإِسْمَاعِيل وَالْيَسَعَ وَيُونُس وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنعام: الآية / ٨٦) .

قال تعالى: في النبي داوّد وسليمان (عليهما السلام): ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ للهِّ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِير مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة النمل: الآية / ١٥)، وقال: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾ (سورة النساء: الآية / ١٦٣)، وقال فيهما أيضاً: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: الآية / ٧٩) .

قال تعالى: في النبي عيسى(عليه السلام): ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهّ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (سورة ألعمران: الآية / ٤٥)، وفال فيه وفي النبي موسى(عليهما السلام): ﴿ .. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ .. ﴾ (سورة البقرة: من الآية / ٨٧)، وقال في كل من زكريا يحيى وعيسى والياس (عليهم السلام): ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة الأنعام: الآية / ٨٥) .

المطلب الثالث: معجزاته الأخرى (صلى الله عليه وآله وسلم)غير القرآن الكريم:

لاشك أن القرآن الكريم هذه المعجزة الخالدة التي أتى بها النبي **(صلى الله عليه وآله وسلم)** هو أعظم معجزة عرفتها البشرية والتي فاقت معجزات الأنبياء السابقين (عليهم السلام) على الإطلاق ن إلا أنها لم تكن معجزته الوحيدة فقد تفجرت على

يديه معجزات كثيرة (كشق القمر نصفين، وخروج الماء من بين أصابع كفه الشريفة، وتسبيح الطعام بين يديه وهو يأكل منه) وغيرها الكثير التي تزخر بها كتب السيرة النبوية والتأريخ الإسلامي[٣١]، إلا إن خصوم الإسلام ما زال دائبهم التشكيك بالإسلام ونبي الإسلام، فطعن أحد الجهال الذي يدعي النصرانية أن القرآن هي معجزته الوحيدة وانه **(صلى الله عليه وآله وسلم)** ليس له معجزات أخرى مثل باقي الأنبياء السابقين (عليهم السلام)، وقد أستدل بعدد من الآيات القرآنية لإثبات ادعاءه هذا، وقد أبطل السيد (قدس) استدلال الخصم وفنّد شبهته مبيناً (قدس) أنها من (الآيات الافتراضية) التي لا يجب الإجابة عليها ألانها تنافي المصلحة، ومن ثم أثبت هذه المعجزات للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بالأدلة النقلية والعقلية، **ويمكن بيان ذلك في وجهين :**

الأول: أبطال أستدل الخصم على نفي معجزاته (صلى الله عليه وآله وسلم) .

كما ذكرنا استدل الخصم بعدد من الآيات القرآنية يرى أنها ظاهرة الدلالة عليه**(صلى الله عليه وآله وسلم)**، بأنه لم يأت بمعجزة غير القرآن، وانأ سنكتفي بذكر واحده منها لا نها كلها من نوع واحد (آيات افتراضية)، وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَة فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نرْسِل بِالآيَاتِ إِلاّ تَخْوِيفاً ﴾ (سورة الإسراء: الآية / ٥٩)، ورأى الخصم أنها ظاهرة في تثبت عدم إتيانه **(صلى الله عليه وآله وسلم)** بمعجزات أخرى لتكذيب الناس لها كما حصل مع الأنبياء السابقين (عليهم السلام)، ولابد قبل فهم رد السيد لهذه الشبه من معرفة معنى الآيات الافتراضية .

فلأية للغة: العلامة، والجمع آي، وآيات[٣٢]، وأن معنى الآيات الافتراضية

التي نفتها الآية والتي كذب بها الأولون: هي المعجزات التي يطلبها المعاندون من أنبياءهم (عليهم السلام) لغرض تعجيزهم والسخرية منهم وليس للأيمان بها وبصاحبها وتصديقه، وأن جريان الله لهذه المعجزات على يد أنبياء هؤلاء الأقوام ليس في صالح هؤلاء المقترحين لأنهم أن كذبوا بها لأتاهم العقاب الإلهي العاجل، كما ورد عن الإمام الباقر(عليه السلام) في جوابه لعدم استجابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما اقترحه عليه قومه، من أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، قال (عليه السلام»: (نزل جبرائيل، وقال: إن الله يقول :وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون، وكنا إذا أرسلنا إلى قريش آية فلم يؤمنوا بها أهلكناهم، فلذلك أخرنا عن قومك الآيات »[٣٣]، وقد استدل (قدس) على افتراضية هذه الآية المذكور بأربعة أمور:

الآيات المذكورة في الآية جمع آية وأن معناه لا يخرج عن ثلاثة وجوه محتملة، فيقول(قدس»(: إما أن يراد منه جنس الآية الذي يصلح للانطباق على كل فرد من الآيات، ومعنى هذا أن الآية الكريمة تنفي وقوع كل آية تدل على صدق مدعي النبوة، ولازم هذا أن يكون بعث الرسول الغوا، إذا لا فائدة في إرساله إذا لم تكن معه بينة تقوم على صدقه، وأن يكون تكليف الناس بتصديقه، ولزوم أتباعه تكليفاً بما لا يطاق، وأما أن يراد به جميع الآيات، وهذا التوهم فاسد، لان أثبات صدق النبي يتوقف على آية ما من الآيات، ولا يتوقف على الرسالة بجميع الآيات، ولم يقترح المقترحون عليه أن يأتي بجميعها، فلا معنى لحمل الآية عليه، فلا بد وأن يراد بهذه الآية الممنوعة خصوص آيات معهودة من الآيات الإلهية»[٣٤] .

أوضح أن يكون تكذيب لمعاندين مانعاً من إرسال الآيات، لكان القرآن الكريم أولى بهذا المنع، وعليه كما يقول (قدس): « لا وجه لتخصيص المنع بالآيات

الأخرى، وأن القرآن أعظم المعجزات التي جاء بها الأنبياء، وقد تحدى به (صلى الله عليه وآله وسلم) جميع الأمم الإثبات نبوته ما دامت الليالي والأيام وهذا يدلنا أيضاً على أن الآيات الممنوعة قسم خاص وليست مطلق الآيات »[٣٥] .

بما أن الآية الكريمة حرصت بان التكذيب هو السبب المانع من إرسال الآيات، إذن لابد أن يكون المقتضي للإرسال بالآيات موجوداً ليصبح تعليل عدمه بسبب التكذيب، وإلا فان المقتضي للإرسال كما يقول (قدس): «لا يخلو من أن يكون هي الحكمة الإلهية الإرشاد العباد وهاديتهم إلى سعادتهم، وأن يكون اقتراح الأمة على النبي شيئاً من الآيات زائداً على القدر اللازم من الآيات لا تمام الحجة، إما إذا كان المقتضي الإرسال بالآيات هي الحكمة الإلهية، فلابد من إرسال هذه الآيات، ويستحيل أن يمنع الحكمة الإلهية شيء لأنه يستحيل على الحكيم أن يختار في عمله ما تنافيه حكمته، سواء في ذلك وجود التكذيب أو عدمه يملي أن تكذيب الأمم السابقة لو صح أن يكون مانعاً عن إرسال الرسول، وهذا باطل بالضرورة، وخلاف للمفروض أيضاً، فتعين أن يكون المقتضي للإرسال بالآيات هو اقتراح المقترحين، ومن الضروري أن المقترحين أنما يقترحون أموراً زائدة على الآيات التي تتم بها الحجة، فإن هذا المقدار من الآيات مما يلزم على الله أن يرسل به لا ثبات نبوت نبيه، وما زاد على هذا المقدار من الآيات لا يجب على الله ان يرسل به ابتداءً، ولا يجب عليه أن يجيب إليه إذا أقترحه المقترحون »[٣٦] .

مما يدل على أن الآيات المذكورة، الآية الكريمة التي أستدل بها الخصم وهي (الآيات الافتراضية) كما يرى (قدس) هو تسمية الله تعالى لها في نفس الآية (بآيات التخويف) فيقول: « وإلا فلا معنى لحصر مطلق الآيات بالتخويف، فإن منها ما يكون للرحمة بالعباد وهدايتهم وأنارت سبيلهم »[٣٧] .

الثاني: إثبات معجزاته الأخرى (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقد أستدل (قدس) على صدور معجزاته الأخرى بعدد من الأدلة النقلية والعقلية الآتية :

ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات المبينة لصدور المعجزات عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنها قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرّ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (سورة لقمر: الآية / ١-٣)، والمراد من لفظ الآية المذكورة الآية الكريمة هي المعجزة، وقد بيّن (قدس) أنه: « لو كان المراد هو آيات القرآن لكان الصحيح أن يعبر بالسماع دون الرؤية وانه ضم إلى ذلك انشقاق القمر، وأنه نسب للآية المجيء دون الإنزال وما يشبهه، بل في قولهم "سحر مستمر" دلالة على تكرار صدور المعجزة عنه(صلى الله عليه وآله وسلم)، وإذاً: فلو سلمنا دلالة الآيات السابقة على نفي صدور المعجزة عنه، فلا بد أن يراد من ذلك نفيه في زمان نزول هذه الآيات الكريمة، وما بمعناها ولا يمكن أن يراد منه نفي الآية حتى بعد ذلك»[٣٨] .

٢- النقل المتواتر عن المسلمين بصدور هذه المعجزات عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك مؤلفات علمائهم الكثيرة عن هذه المعجزات، فهذا له امتياز عن أخبار أهل الكتاب بمعجزات أنبيائهم (عليهم السلام)، **وقد بينها (قدس) من جهتين :**

الأولى: « قرب الزمان، فإن الشيء إذا قرب زمانه كان تحصيلي الجزم بوقوعه أيسر منه إذا بُعد زمانه »[٣٩] .

أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أثبت لمن سبقوه من الأنبياء(عليهم السلام)

معجزات كثيرة، وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل البشرية بما فيهم الأنبياء (عليهم السلام) بلا منازع فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): « أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[٤٠]، وأنه خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: «غير أنه لا نبي بعدي »[٤١]، وقال: « أنا خاتم النبيين وعلي خاتم الوصيين»[٤٢]، وعليه فإن هذا كما يقول (قدس) :« يقتضي صدور تلك المعجزات منه على نحو أتم، فإنه لا يعقل أن يدعي أحد أنه أفضل من غيره، وهو يعترف بنقصانه عن ذلك الغير في بعض صفات الكمال، وهل يعقل إن يدعي أحد أنه اعلم الأطباء جميعاً، وهو يعترف بأن بعض الأطباء الآخرين قادر على معالجة مرض هو غير قادر عليها ؟ أن ضرورة العقل تمتع ذلك، ولهذا الجهة نرى أن جملة من المتنين الكاذبين قد أنكروا الإعجاز، وجحدوا كل معجزة للأنبياء السابقين، وصرفوا اهتمامهم إلى تأويل كل آية دلت على وقوع الإعجاز، حذر من أن يطالبهم الناس بأمثالها فيستبين عجزهم »[٤٣] .

الثانية: « كثرة الرواة: فإن أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الذين شاهدوا معجزاته أكثر - بألوف المرات – من بني إسرائيل، ومن المؤمنين بعيسى الناقلين لمعجزاته لابد وأن ينتهي إلى هؤلاء المؤمنين القليلين في العدد، فإن صحت دعوى التواتر في معجزات موسى وعيسى صحت دعوى التواتر في معجزات نبي الإسلام بطريق أولى، وقد أوضحنا فيما تقدم أن التواتر في معجزات الأنبياء السابقين غير ثابت في الأزمنة اللاحقة، ودعواه دعوى باطلة »[٤٤] .

المبحث الثاني

الشبهات التي حول القرآن الكريم

يتكون هذا المبحث من الشبهات التي أثيرت حول القرآن الكريم، بأنه محرّف، وانه متناقض حاشاه، ورد السيد الخوئي (قدس) لها، فكان هذا المبحث في مطالبين :

المطلب الأول: تحريف القرآن .

المطلب الثانـي: تناقض القـرآن .

المطلب الأول: تحريـف القرآن:

أدعى خصوم الإسلام عدم وحيانية القرآن الكريم وتناقضه لمخالفته لقصص العهدين، تناقض بعض آياته، ويمكن بيان رد السيد (قدس) في فرعين :

الفرع الأول: مخالفته لقصص العهدين .

يرى هؤلاء بما أن أخبار الأنبياء السابقين (عليهم السلام) المذكورة في القران الكريم تخالف ما ورد عنهم من إخبار في كتب العهدين كما ذكرنا بعض من هذه المخالفة سابقاً[٤٥]، ولكون قصصهم في كتب العهدين كما يعتقدون هي وحياً الاهياً منقولة بالتواتر، فإنه يثبت عدم صدق نبوة نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) وان ثبت أعجاز القرآن الكريم، فيقولون: « إن قرآن المسلمين، إن سلمنا بإعجاز، إلا أنه لا يكشف عن صدق نبوة نبيهم ،لأن قصص القرآن تخالف قصص كتب العهدين التي تثبت كونها وحياً إلهياً بالتوتر »[٤٦] .

لابد قبل بيان رد السيد (قدس) لهذه الشبهة، ان توضيح خطأ ما يعتقده الخصم من وحيانية كتب العهدين وان الأعم الأغلب لما ورد فيها هو ليس كلام الأنبياء السابقين (عليهم السلام) وإنما كلام أتباعهم ومن جاء بعدهم من تلامذتهم ومن أحبار اليهود وقساوسة النصارى، بل عدد من مزامير هذه الكتب مجهول القائل كما ورد في مقدمات أسفار الكتاب المقدس (كسفر التكوين، الخروج، والتثنية، وغيرها)، كما ورد في اعترافات عدد كبار أحبار اليهود وأساقفة النصارى في تحريف كتب العهدين ولمن ؟ أراد المزيد عن هذا الموضوع[٤٧] .

وقد فند السيد(قدس) هذه الشبة من وجوه :

الأول: إن هذا الاختلاف بين كتب العهدين والقرآن الكريم، كما يقول(قدس): »قد أزل الريب المرتاب في كونه وحياً إلهياً، لخلوه عن الخرافات والأوهام، وعما لا يجوز في حكم العقل نسبته إلى الله تعالى، إلى أنبيائه، فمخالفة القرآن لكتب العهدين بنفسها دليل على انه وحي إلهي»[٤٨]، ومن هذه المخالفة ما ورد في قصة موت سيدنا المسيح (عليه السلام) في كتب العهدين وأنه صُلب: « وإن ابن الإنسان قد جاء لكي يصلب ويخلص ما قد هلك، فبمحبته ورحمته قد صنع طريقاً للخلاص»[٤٩]، وأيضاً: « وقال للجميع وان أراد أحد أن يأتي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني»[٥٠]، وقد كذب القرآن الكريم هذه القصة وافتراءهم عليه (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ (سورة النساء: الآية / ١٥٧) .

الثاني: بيّن(قدس) إن دعوة تواتر قصص العهدين دعوة باطلة، لأن معجزات

الأنبياء السابقين (عليهم السلام) وهي الأهم لم تثبت بالتواتر فكيف بأخبارهم ؟« وأن التواتر يتوقف على ان يصل عدد المخبرين في كل جيل الى حد يمنع العقل من تواطؤهم على الكذب، وهذا شيء لا يمكن لليهود والنصارى إثباته لقصص العهدين، وإذا لزم على الناس تصديقهم بما يخبرون به عن أنبيائهم (عليهم السلام) فلم لا يلزم من ذلك تصديق المسلمين بما يخبرون به عن نبيهم(عليه السلام) علماً إن التواتر موجود هنا»(٥١) .

الثالث: إن قصص العهدين ومعاجز الأنبياء السابقين (عليهم السلام) لم تثبت عند المسلمين بالتواتر إنما بأخِبار نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقرآنهم الكريم الذي شهد في آياته على صدق الأنبياء السابقين (عليهم السلام) ووحيانية كتبهم لأنه الحجة الخاتمة على جميع الخلائق إلى قيام الساعة، وعليه كما يقول (قدس) :« إذا ثبتت هذه الشريعة المقدسة وجب علينا تصديق جميع الأنبياء السابقين لشهادة القرآن الكريم ونبي الإسلام العظيم، إذن فالقرآن هو المعجزة الخالدة الوحيدة الباقية التي تشهد لجميع الكتب المنزلة بالصدق، والجميع الأنبياء بالتنزيه»(٥٢) .

الفرع الثاني: دعوه التناقض في بعض آياته.

وجهل خصوم الإسلام بلغة القرآن الكريم وعدم معرفتهم بمعاني اللغة العربية وأساليبها البيانية وبلاغتها والاشتراك معاني كثير من مفرداتها وترادف ألفاظ أخرى،أدى إلى صعوبة فهم القوم لمعاني آياته، فافتروا عليه بتناقض بعض آياته، ولأن كل ما ذكروه سببه ما بيناه آنفاً، يكفينا رد السيد (قدس) لواحدة منها فيسقط به الجميع، وهي بزعمهم، قوله تعالى: ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً﴾ (سورة آل عمران:من الآية/ ٤١)، يتعارض مع قوله تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ

النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ﴾ (سورة مريم:من الآية/ ١٠)، لتشابه الآيتين في المعنى واختلافهم في ذكر كلمة (أيام) في الأولى، و(ليال) في الثانية[٥٣] .

وكان رد السيد (قدس) لهذه الشبهة من وجهتين :

الأولى: أثبات الفهم الخاطئ للخصم وبيان إعجاز القرآن في دقة اختيار الألفاظ واستخدام معانيها، ومنها لفظتي (اليوم)، و(الليل) إذا استخدمها هنا واحد وهو (بياض النهار وسواد الليل)، فيقول (قدس): « إن لفظ اليوم قد يطلق ويراد منه بياض النهار فقط كما في قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً ﴾ (سورة الحاقة: من الآية / ٧)، وقد يطلق ويراد منه بياض النهار مع ليلة كما في قوله تعالى: ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ (سورة هود: من الآية / ٦٥)، كما أن بلفظ الليل يطلق ويراد به مغيب الشمس واستتارها تحت الأفق، وعليه جاء في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (سورة الليل: الآية / ١)، ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً ﴾ (سورة الحاقة: من الآية / ٧)، وقد يطلق ويراد منه سواد الليل ونهاره وعليه جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.. ﴾ (سورة البقرة: من الآية / ٥١)، واستعمال لفظي (الليل واليوم) في هذين المعنيين كثيراً جداً، وقد استعملا في الآيتين الكريمتين على المعنى الثاني "مجموع بياض النهار وسواد الليل" فلا مناقضة وتوهم المناقضة يبتني على ان لفظي (الليل واليوم) قد استعملا على المعنى الأول، وما ذكرناه بيّن لا خفاء فيه، ولكن المتوهم كابر الحقيقة ليحط من كرامة القرآن الكريم بزعمه هذا»[٥٤] ، لكن خاب فأله .

الثانية: رد سهام نقد الخصم (التناقض) لنحره، وإظهار ان كتب العهدين وجد فيها هذا التناقض وليس القرآن الكريم، وكما يقولون " إذا كان بيتك من زجاج

فلا ترم الناس بحجر" ومن هذا التناقض ما ورد في قصة السيد المسيح(عليه السلام)، قال (قدس): « فقد ذُكر في الباب الثاني عشر من أنجيل متى: أحبار المسيح انه يبقى مدفوناً في باطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال[٥٥]، مع أن أنجيل متى بنفسه والإنجيل الثلاثة الأخر قد اتفقت على أن المسيح لم يبقى في بطن الأرض إلا يسيرا من آخر يوم الجمعة، وليلة السبت ونهاره، وليلة لأحد إلى ما قبل الفجر، فانظر أحريات الأناجيل، ثم قل لكاتب أنجيل متى، ولكل من يعتقد أنه وحي إلهي: أين تكون ثلاثة أيام وثلاث ليال ؟ ومن الغريب جداً أن يؤمن علماء الغرب ومفكروه بكتب العهدين، وهي مليئة بالخرافات والمتناقضات، وألا يؤمنوا بالقرآن، وهو الكتاب المتكفل بهداية البشرية، ويسوقهم الى سعادتهم في الدنيا والآخرة، والكن التعصب داء عضال»[٥٦] .

وعلى ضوء ما تقدم يتبين لنا بوضوح قوة منهجه الكلامي من خلال قوة استدلاله العقلي (قدس) في رد شبهات الخصوم، وتنوع استدلاله ألنقلي بكل أنواعه (الكتاب المقدس، القرآن، السنة النبوية).

المطلب الثاني: تحريف القرآن الكريـم:

لم يكتف الخصم الإسلام الى الاصطياد في مستنقع الشبهات، فاتهموا القران الكريم بالتحريف متشبثين بأدلة واهية، قام (قدس) بردها كلها، وقد نأينا عن ذكرها جميعها لضعفها واخترنا أمنها شبهتين رأيناهما أهمهن :

الأولى: أدعى الخصم بأن التحريف إذا وقع في (التوراة والإنجيل)، فأن التحريف واقع لا محالة في القرآن الكريم، لان المسلمين بزعمهم رووا بالتواتر عن

النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بأن المسلمين سيفترقون وسيتبعون من كان قبلهم من (اليهود والنصارى) حذو القذة بالقذة[٥٧] .

والتحريف لغة: من [حَرْفَ]، وحرّف الشيء: غيّره وبدّله، والتحريف: التغيير والتبديل، وتحريف الكلام: تغييره عن مواضعه، قال تعالى في اليهود: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ (سورة النساء: جزء من الآية / ٤٦)، وقال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة: الآية/ ٧٥)، ويقال أنحرف عنه وتحرّف وأحرورف أي مال وعدل[٥٨] .

وقد ورد عن طريق أهل السنة، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: « ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى وان كان منهم من أتى أمة علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك»[٥٩]، وعن طريق الشيعة، عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبائه الكرام عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «كل ما كان في الأمم السالفة، فإنه يكون في هذه الأمة مثله حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة »[٦٠] .

ورد السيد(قدس) هذه الشبهة من وجوه :

الأول: ان سند هذه الروايات يثبت بطلان دعوى تواترها، فهي كما يقول (قدس): « أخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، ودعوى التواتر فيها جزافية لا دليل عليها، ولذلك فلا ملازمة بين وقوع التحريف في التوراة ووقوعه في القرآن »[٦١] .

الثاني: لو صحت دعوة الخصم لكانت دليلاً: « على وقوع الزيادة في القرآن أيضاً، كما وقعت في التوراة والإنجيل، ومن الواضح بطلان ذلك »[٦٢] .

الثالث: لو صحت دعوة الخصم وسلمنا تواتر الروايات: « لما ثبت بها ان التحريف قد وقع فيما مضى من الزمن، فلعله يقع في المستقبل زيادة ونقيصة، والذي يظهر من الرواية وقوعه عند قيام الساعة، فكيف يستدل بذلك على وقوع التحريف في صدر الإسلام، وفي زمان الخلفاء »[٦٣] .

الرابع: إن المراد من الروايات التي قصدها الخصم ليس ظاهرها وإنما المشابهة في بعض الوجوه، فإن كثير مما حدث في الأمم السالفة لم يتكرر مثلها في الأمة الإسلامية: « كعبادة العجل، وتيه بني إسرائيل أربعين سنة ،وغرق فرعون وأصحابه، وملك سليمان للإنس والجن، ورفع عيسى إلى السماء، وموت هارون وهو وصي موسى قبل موسى نفسه، وإتيان موسى بتسع آيات بينات، وولادة عيسى من غير أب، ونسخ كثير من السابقين قردة وخنازير، وغير ذلك مما لا يسعنا إحصاؤه، وهذا أدل دليل على عدم أرادة الظاهرة من تلك الروايات، فلابد من أرادة المشابهة في بعض الوجوه، وعلى ذلك ففي وقوع التحريف في هذه الأمة هو لعدم أتباعهم لحدود القرآن، وأن أقاموا حروفه وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) .. لتركبن سنن من كان قبلكم، فإن هذه الرواية صريحة في أن الذي يقع في هذه الأمة، شبيه بما وقع في تلك الأمم من بعض الوجوه »[٦٤] .

المبحث الثالث

الشبهات التي حول إعجاز القرآن الكريم

أثيرت عدد من الشبهات، كقول (النظّام) بان الله صرف العرب عن معارضته، كما ذهب خصوم الإسلام إلى القول بخوف العرب من معارضة القرآن، وأن إعجازه خاص بهم فقط، وأنه خالف لغة العرب نفسهم، وغرضهم من ذلك النيل من بلاغته وفصاحته والتشكيك في إعجازه، وقد رد (قدس) هذه الشبهات مثبتاً عكس المدعى في كل هذه الشبهات، لذا ضم هذا المبحث أربعة مطالب :

المطلب الأول: القول بالصرفة .

المطلب الثاني: الخوف من معارضته .

المطلب الثالث: إعجازه خاص بالعرب .

المطلب الرابع: مخالفته لقواعد اللغة العربية .

المطلب الأول: القول بالصرفة:

الصرفة لغة: من صرف يصرف صرفاً، والصرف كما يقول الخليل بن احمد هو: « أن تصرف إنساناً على وجهٍ يريده إلى وجه غيره»(٦٥).

أما القول بـ(الصرفة) في إعجاز القرآن الكريم عند (النظّام) (*)، بأنه معجز بذكره للأمور الغيبية، أما غير ذلك من البلاغة والفصاحة فلا؛ لأن الله صرفهم عن معارضته ومنع العرب الإتيان بمثل بلاغته وفصاحته قهراً وتعجيزاً، ولو لم يصرفهم لكانوا قادرين على مجاراته والإتيان بمثله، وهذا ملخص نظريته، أما قوله فهو أن:

«الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم»[٦٦].

وقد رد السيد (قدس) هذا القول من وجهين :

الأول: إن هذه النظرية باطلة إن كان معناها، كما يقول (قدس):« إن الله قادر على أن يُقدّر بشراً على أن يأتي بمثل القرآن، ولكنه تعالى صرف هذه القدرة من جميع البشر، ولم يؤتها لأحد منهم فهم معنى صحيح، ولكنه لا يختص بالقرآن، بل هو جار في جميع المعجزات، وإن كان معناها أن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل القرآن، ولكن الله صرفهم عن معارضته فهو واضح البطلان، لان كثيراً من الناس تصدوا لمعارضة القرآن ،فلم يستطيعوا ذلك ،واعترفوا بالعجز»[٦٧].

الثاني: لو صرف الله تعالى البشر عن معارضته وسلبهم القدرة عن مجاراتها عند نزوله، فلم ينقل لنا التاريخ عن أهل البلاغة والفصاحة من أتى بمثل سورة من القرآن قبل ذلك وهذا يدل، كما يقول (قدس): « لأنه لو كان إعجاز القرآن بالصرفة لوجد في كلام العرب السابقين مثله وقبل أن يتحدى النبي البشر، ويطلب منهم الإتيان بمثل القرآن، ولوجد ذلك لنقل وتواتر، لتكثر الدواعي إلى نقله، وإذا لم يوجد ولم ينقل كشف ذلك عن كون القرآن بنفسه أعجازاً إلهيا، خارجاً عن طاقة البشر»[٦٨].

لان الإعجاز القرآني كما نعتقد هو ما ذهب إليه بعض الباحثين ما يسمى (بالإعجاز ألمضموني) والذي بيّنه (د. عبد الأمير زاهد) بان: « جوهر الإعجاز مضمون فكري لا متناه في المعيارية معبر عن الحقائق المطلقة، ومصوغ بأرفع الأساليب»[٦٩].

المطلب الثاني: الخـوف من معارضتـه:

زعم الخصوم بعدم معارضة العرب للقرآن حين نزوله على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد نزوله بعد ذلك وانتهاء آياته وتمام سوره، إلا خوفاً على أموالهم وأنفسهم من قتل المسلمين لهم ولا سيما بعد سطوتهم على الناس وغلبتهم على البلدان، كما أن بعد مرور زمن طويل صار القرآن مألوفاً وإعجازه راسخاً مرتكزاً في نفوس الناس مسلماً به عندهم، فقالوا :« إن العرب لم تعارض القرآن، لا لكونه معجزاً يعجز البشر عن الإتيان بمثله، فقد كانت سيطرة المسلمين تمنعهم عن التصدي لذلك، فلم يعارضوا القرآن خوفاً على أنفسهم وأموالهم من هؤلاء المسيطرين، لما انقرضت سلطة الخلفاء الأربعة وآل ألأمر إلى الأمويين، وصار القرآن مأنوساً لجميع الأذهان بسبب رشاقة ألفاظه ومتانة معانيه وأصبح من المرتكزات الموروثة خلفاً عن سلف، فانصرفوا عن معارضته لذلك»(٧٠) .

ورد السيد (قدس) هذه الشبهة من وجوه عدة :

الأول: إن عدم معارضتهم للقرآن لخوفهم من قوة المسلمين وسيطرتهم، دعوة واهية لان التحدي كان قبل فتح البلدان وظهور الإسلام وانتشاره، إ ذ تحداهم الحق تعالى في بادئ الأمر إن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ان استطاعوا، فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة هود: الآية / ١٣)، وعندما لم يكن باستطاعة أحد ذلك خفف الحق تعالى الوطء عليهم وتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة أن كانت له القدرة على ذلك فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية / ٢٣) وقال

ايضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة يونس: الآية / ٣٨)، في حين كما يبيَن (قدس):« إن التحدي بالقرآن، وطلب المعارضة بسورة من مثله، قد كان من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في مكة قبل أن تظهر شوكة الإسلام، وتقوى سلطة المسلمين، ومع ذلك لم يستطيع من بلغاء العرب أن يقوم بهذه المعارضة»[٧١] .

الثاني: إن هذه الخوف ان كان موجوداً في بداية سيطرة المسلمين، فأنه غير موجود في زمن الخلفاء الراشدين وأنه لا يمنع الكافر من أن يظهر كفره أو إنكاره للدين الإسلامي: « كان أهل الكتاب يعيشون بين المسلمين في جزيرة العرب وغيرها بآهنا عيش وأكرم نعمة، وكان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، ولاسيما في عصر خلافة أمير المؤمنين(عليه السلام) الذي أعترف بعدله ووفور علمه المسلمون وغيرهم، فلو كان أحد هؤلاء الكتابيين وغيرهم قادراً على الآتيان بمثل القرآن، لأظهره في مقام الاحتجاج»[٧٢] .

الثالث: لو فرضنا وجود هذا الخوف من معارضته وتحديه جهراً من قتل المسلمين، فيقول: « فما الذي منع الكتابيين، أو غيرهم من معارضته سراً في بيوتهم وجامعهم؟ ولو ثبتت هذه المعارضة لتحفظ بها الكتابيون ليظهروها بعد زوال الخوف عنهم، كما تحفظوا على قصص العهدين الخرافية، وسائر ما يرتبط بدينهم »[٧٣] .

الرابع: عدم معارضة القرآن الكريم من قبل المعاندين لعلو مقام فصاحته وارتفاع شأن بلاغته على قدرة البشر وليس لان القرآن الكريم صار مؤنساً لجميع الأذهان وأصبح من المرتكزات المورثة جيل بعد جيل فصرفهم ذلك عن معارضته، لأن المعهود من الطباع البشرية، كما يقول (قدس): « إذا تكرر على الإسماع هبط عن

مقامه الأول، ولذلك ترى أن القصيدة البليغة أذا أعيدت على الإنسان مراراً ملها، واشمأزت نفسه منها، فإذا سمع قصيدة أخرى فوقها يتراءى له في أول نظرة أنها أبلغ من القصيدة الأولى، فإذا كررت الثانية أيضاً ظهر الفرق الحقيقي بين القصيدتين، وهذا جار في جميع ما يلتذ به الإنسان، ويدرك حسنه من مأكول، وملبوس، ومسموع وغيرها، والقرآن لو لم يكن معجزاً لكان اللازم أن يجري على هذا المقياس، وينحط في نفوس السامعين عن مقامة الأول، مهما طال به الزمان وطرأ عليه التكرار، وبذلك تسهل معارضته والكنا نرى القرآن على كثرة تكراره، لا يزداد إلا حسناً وبهجة، ولا يثمر إلا عرفاناً ويقيناً، ولا ينج إلا إيماناً وتصديقاً، فهو في هذه المزَية على العكس الكلام المألوف، وإذن فهذا الوجه يؤكد إعجازه لأنه ينافيه كما يتوهمه هذا الخصم»[٧٤] .

الخامس: إن تكرار الكلام لو فرض أنه يوجب أنس النفوس به وألفها لها ويصبح من المرتكزات الموروثة تمنع من معارضته، فهذا المعنى كما يقول (قدس): « إنما ينم عند المسلمين الذين يصدقون به، ويستمعون إليه برغبه واشتياق كلما تكررت تلاوته، فلماذا لا يعارضه غير المسلمين من العرب الفصحاء ؟ لتقع هذه المعارضة موقع القبول ولو من غير المسلمين »[٧٥] .

المطلب الثالث: إعجـازه خـاص بالعـرب:

وذهب الخصوم إلى التشكيك في إعجاز القرآن الكريم مرة أخرى، وإن معارضته والإتيان بمثله لا تكون إلا لمن عرف اللغة العربية وتمن من بلاغتها، ومن ثم طعنوا في بلاغته بأن إعجازه خاص بالعرب، زاعمين ان من تمكن أن يأتي بكلمة مثل كلماته أمكنه ذلك أن يأتي بمثل القرآن، فقالوا: « إن كلام القرآن وأن عجز ابشر

عن الإتيان بمثله ليس معجزاً، لان معرفة بلاغته مختصة بالعرب ولابد للمعجز إن يعرف أعجازه جميع أفراد البشر، ومن كان قادر من العرب ان يأتي بمثل كلمة من كلمات القرآن أمكنه ان يأتي آيات القرآن، لأن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد»[٧٦] .

تضَمن كلام الخصم الآنف ذكره شبهتين، قام السيد (قدس) بردهما :

الأولى: زعمهم بأن إعجازه البلاغي ليس عاماً لجميع البشر وإنما خاص بالعرب فقط، فأنها شبهة ضعيفة الحجة والقياس فيها متفكك، وقد بيَن (قدس): « بأن المعجز لا يشترط فيه أن يدرك إعجازه كل البشر، ولو اشترطنا ذلك لم يسلم لنا معجز أصلاً، فإن إدراكه يختص بجماعة خاصة، ويثبت لغيرهم بالنقل المتواتر، وقد ذكرنا امتياز القرآن عن غيره من المعجزات، بأن التواتر قد ينقطع في مرور الزمان، وأما القرآن فهو معجزة باقيه أبدية ببقاء الأمة العربية، بل ببقاء من يعرف خصائص اللغة العربية، وإن لم يكن عربياً »[٧٧] .

الثانية: أما زعمهم بان من تمكن من الإتيان بكلمة مثل كلمات القرآن أمكنه أن يأتي بمثل القرآن، وهذه الشبهة أوهى من سابقتها، وقد رد (قدس) بأبسط مقدمات إذ يقول: « إن القدرة على الإتيان بمثل كلمة من كلمات القرآن، بل على الإتيان بمثل جملة لا تقتضي القدرة على الإتيان بمثل القرآن، وبمثل سورة من سوره، فإن القدرة على المادة لا تستلزم القدرة على التركيب، ولهذا لا يصح لنا أن نقول: أن كل فرد من أفراد البشر قادر على بناء القصور الفخمة، والصروح الضخمة، لأنه قادر على وضع أجرة في البناء، أو نقول: أن كل عربي قادر على إنشاء الخطب والقصائد ،لأنه قادر على أن يتكلم بكل كلمة من كلماتها ومفرداتها»[٧٨] .

المطلب الرابع: مخالفته لقواعد اللغة العربية:

تحدى القرآن الكريم البشر كافه إلى قيام الساعة في آيات التحدي التي ذكرناها سابقاً، ولما عجز المعاندون معارضته ولم يتمكن أحد أن يأتي بسورة من مثله وقد بيَن الله تعالى عجزهم عن ذلك بقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (سورة الإسراء: الآية / ٨٨)، كبُر على خصوم القرآن ظهوره عليهم فاخذوا يحطون من كرامته ويرمونه بسهام الشبهات فطعنوا ببلاغته مرة أخرى بحجة مخالفته لقواعد اللغة العربية، فقالوا: « إن في القرآن أموراً تتعارض مع البلاغة لأنها تخالف قواعد اللغة العربية، ومثل هذا يجعل القرآن غير معجزاً»(٧٩) .

ويراد هنا من مخالفة القرآن الكريم لقواعد اللغة العربية هو(نحوها) .

النحو للغة: من نحا، ينحو، والنحو: القصد والطريق، ويقال: نحا نحوه: أي قصد قصده، ويجمع على أنحاء(٨٠) .

وعند النحاة: هو أعراب الكلام وتغير حركته من رفع ونصب وجر(٨١) .

وقد أبطل السيد (قدس) هذه الشبهة من وجهين:

الأولى: أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، (سورة يوسف: الآية / ٢)، وقال أيضاً: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً.. ﴾ (سورة طه: من الآية/ ١١٣)، والعرب الفصحاء هم أعرف الناس بلغة القرآن الكريم فلو كان مخالفاً لقواعد لغتهم لعارضوه بهذه الحجة، أنه كما بيَن (قدس): « نزل بين بلغاء العرب وفصحائها، وقد تحداهم إلى معارضته، ولو بالإتيان بسورة واحدة، وذكر أن الخلق لا يقدرون على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا،

فلو كان في القران ما يخالف كلام العرب فإن هؤلاء البلغاء العرفين بأساليب اللغة ومزاياها لأخذوه حجة عليه، ولعابوه بذلك، واستراحوا به عن معارضته باللسان أو السنان، ولو وقع شيء من ذلك لاحتفظ به التاريخ، والتواتر نقله بين أعداء الإسلام، وكيف ولم ينقل ذلك ولا بخبر واحد ؟»[٨٢] .

الثانية: لو صح زعم القوم وخالفت قاعدة نحوية القران الكريم يكون هذا نقضاً لهذه القاعدة لاطعناً في القران الكريم لأنه أهم مصادر النحو العربي لعلو فصاحته وسمو بلاغته، فكيف وهو الوحي الإلهي الذي وصفه رب العزة بقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (سورة فصلت: الآية / ٤)، وأنه كما يقول (قدس): « نزل في زمان لم يكن فيه للقواعد العربية عين ولا أثر، وإنما أُخذت هذه القواعد – بعد ذلك – من استقراء كلمات العرب البلغاء، وتتبع تراكيبها، والقرآن لو لم يكن وحياً إلهياً – كما يزعم الخصم – فلا ريب في أنه كلام عربي بليغ، فيكون أحد المصادر للقواعد العربية، ولا يكون القرآن أقل مرتبة من كلام البلغاء الآخرين المعاصرين لنبي الإسلام، ومعنى هذا: إن القاعدة العربية المستحدثة إذا خالفت القرآن كان هذا نقضاً على تلك القاعدة، لا نقداً على ما أستعمله القرآن، على أن هذا لو تم فإنما يتم إذا اتفقت عليه القراءات، وإن هذه القراءات المعروفة إنما هي اجتهادات من القراء أنفسهم، وليست متواترة عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فلو ورد اعتراض على أحدى القراءات كان ذلك دليلاً على بطلان تلك القراءة نفسها دون أن يمس بعظمة القرآن وكرامته»[٨٣].

وبعد كل ما تقدم لابد من الإشارة إلى انه (قدس) كان يذكر عدد من أقوال الخصوم بالمعنى وليس بالنص، وان ما ذكر من نصوص هو من تخريج الباحث من مصادر الخصوم .

الخاتمة

وبعد أن منّ الله علينا بإتمام هذا البحث المتواضع، نعرض أهم النتائج والتصورات المستخلصة منه :

الأولى: امتاز منهجه الكلامي (قدس) بقوة الاستدلال العقلي، وبتنوع الاستدلال ألنقلي(الكتاب المقدس بعهديه، القرآن الكريم، السنة النبوية) في رد شبهات ومطاعن الخصوم .

الثانية: افتقر منهجه (قدس) إلى ذكر عدد من نصوص شبهات ومطاعن الخصوم، واكتفى

بطرحها بالمعنى .

الثالثة: اتصف منهجه في رد الشبهات وبيان زيفها بالدقة العلمية متسلحاً بأدوات النقد العلمي

الحديثة، وبرصانة الأسلوب، وغزارة المعرفة .

الرابعة: تميز منهجه بابتعاده عن اللغة الكلامية القديمة، وخلوه من المصطلحات المنطقية الصعبة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

* هوامش البحث *

(١) ينظر: الصحاح، للجوهري ١/ ٣٤٦، مادة (نهج)، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٥/ ٣٦١، مادة (نهج) ، تاج العروس، للزبيدي، ٣/ ٥٠٤ – ٥٠٥، مادة (نهج) .

(٢) منهج البحث العلمي: د. عبد اللطيف محمد، ٧، نقلاً عن الدليل إلى منهج البحث العلمي، احمد سيد، ١٣ .

(٣) منهج البحث الأدبي: د. علي جواد الطاهر، ١٩ .

(٤) ينظر: العين، للفراهيدي، ٥/ ٣٧٨، مادة (ك، ل، م)، مختار الصحاح، للرازي، ٢٩٠٢
(٥) شرح المقاصد في علم الكلام: لسعد الدين التفتازاني، ١/ ٦٠.
(٦) معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: للسيد لخوئي، ١ / ٤٣ .
(٧) معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: ١ / ٤٥ .
(٨) ينظر: العين، ١/ ٢١٥، مادة (ع، جـ، ز)، مختار الصحاح، ٢١٩، تاج العروس، ٨/ ٨٩.
(٩) الفرق بين الفِرق: للبغدادي، ٢٩٦.
(١٠) البيان في تفسير القرآن: ٣٣.
(*) **الاشاعرة:** نسبة إلى علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، رأس متكلمي أهل السنة والجماعة وكبيرهم، ينظر: الفرق بين الفرق، ٢٧٣.
(١١) ينظر: اللمع في رد أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن الأشعري، ١١٧ .
(١٢) أبطال نهج الباطل وإهمال كشف العاطل: روزبهان ، ٥٧ .
(١٣) البيان في تفسير القرآن: ٣٧.
(١٤) المصدر نفسه: الصفحة نفسها .
(١٥) المصدر نفسه: الصفحة نفسها .
(١٦) المصدر نفسه: الصفحة نفسها .
(١٧) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٥ / ٢٨.
(١٨) المصدر نفسه: ٥ / ٢٩.
(١٩) قس ونبي: أبو موسى الحريري، ٤٧ .
(٢٠) المصدر نفسه: ٥٠ .
(٢١) الكتاب المقدس (العهد القديم): ١٠، الإصحاح / ٦ .
(٢٢) الكتاب المقدس (العهد القديم): ٥٦، الإصحاح / ٣ .
(٢٣) الكتاب المقدس (العهد الجديد): سفر متى: ٦/ ١ ،٩ / ٢٦ .
(٢٤) الكتاب المقدس (العهد القديم): ٥، الإصحاح / ٣ .
(٢٥) البيان في تفسير القرآن: ٤٦ – ٤٨ .
(٢٦) الكتاب المقدس (العهد القديم): ٥١، الإصحاح / ١٢من التكوين .
(٢٧) الكتاب المقدس (العهد القديم): ٢٩، الإصحاح / ١٩من التكوين .
(٢٨) الكتاب المقدس (العهد الجديد): ١٤٧، الإصحاح / ٢ من يوحنا .
(٢٩) الكتاب المقدس(العهد الجديد): ٢١، ١٠٥، الإصحاح/ ١١من متى، الإصحاح/ ٧ من لوقا.
(٣٠) البيان في تفسير القرآن: ٤٨ – ٥٠ .

(٣١) دلائل النبوة: للأصبهاني ،٢٦٢، الحديث / ٦ وما بعده .
(٣٢) ينظر: الصحاح، للجوهري، ١٩/ ١٧٩، مادة [أيا]، مختار الصحاح، ٣٦ .
(٣٣) الهداية: جورج صول، ٧٩ .
(٣٤) البيان في تفسير القرآن: ١٠٥ .
(٣٥) المصدر نفسه: الصفحة نفسها .
(٣٦) البيان في تفسير القرآن: ١٠٦ .
(٣٧) المصدر نفسه: ١٠٧ .
(٣٨) المصدر نفسه: ١١٧ .
(٣٩) البيان في تفسير القرآن: ١٠٣ – ١٠٤ .
(٤٠) صحيح البخاري: للبخاري ، ٤ / ١٧٢ .
(٤١) المصدر نفسه: ٤ / ٢٠٨ .
(٤٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار: للمجلسي، ١٢/ ٨٣ .
(٤٣) البيان في تفسير القرآن: ١٠٤ .
(٤٤) المصدر نفسه: الصفحة نفسها .
(٤٥) ينظر: بحثنا هذا، ٥–٧.
(٤٦) مقال في الإسلام: ١٠٧ .
(٤٧) الكتاب المقدس تحت المجهر: ١٦٣– ١٧٨ .
(٤٨) البيان في تفسير القرآن: ٨٤ .
(٤٩) الكتاب المقدس (العهد الجديد): أنجيل لوقا: ١/ ١٩ ،١٢٤ .
(٥٠) الكتاب المقدس (العهد الجديد): أنجيل يوحنا: ١٩ / ١، ١٥٤ .
(٥١) البيان في تفسير القرآن: ٥٠٤ .
(٥٢) المصدر نفسه: ٥٠٥ .
(٥٣) ينظر: مقال في الإسلام ، ١٢٢ .
(٥٤) البيان في تفسير القرآن: ٨٤–٨٥.
(٥٥) الكتاب المقدس: إنجيل متى، النبي يونان / ٢٣ .
(٥٦) المصدر السابق: ٨٥ – ٨٦ .
(٥٧) ينظر: الهداية ،٩٧ .
(٥٨) سنن الترمذي: لابن سورة الترمذي، ٤ / ١٣٥، الحديث / ٢٧٧٩ .
(٥٩) بحار الأنوار: للمجلسي، ٨ / ١٤ .

(٦٠) ينظر: العين، للفراهيدي، ٣/ ٢١١، [ح، ر، ف]، لسان العرب: لابن منظور، ٩/ ٤٣، مختار الصحاح: للرازي، ٧٧ .

(٦١) البيان في تفسير القرآن: ٢٢١ .

(٦٢) البيان في تفسير القرآن: ٢٢١.

(٦٣) المصدر نفسه: ٢٢٢ .

(٦٤) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٦٥) العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ،٧/ ١١٠، مادة (ص. ر. ف).

(*) **النظّام** :هو ابن سيار عُرف بالنظّام لنظمه الخرز، رجل المعتزلة الأول (ت٢٣١هـ) في بغداد، ينظر الفرق بين الفرق، ١١٩.

(٦٦) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ٢٥، وينظر: الفرق بين الفرق، ١٢٩، والملل والنحل، ١/ ٥٧.

(٦٧) البيان في تفسير القرآن: ٨٣ .

(٦٨) المصدر نفسه: الصفحة نفسها .

(٦٩) ظواهر دلالية في التعبير القرآني مقاربة في المضمون وأدوات التعبير، ٢٢.

(٧٠) الهداية: ١٢٣ .

(٧١) البيان في تفسير القرآن :٩٠ .

(٧٢) البيان في تفسير القرآن :٩٠ .

(٧٣) المصدر نفسه: الصفحة نفسها .

(٧٤) المصدر نفسه: ٩١ .

(٧٥) المصدر نفسه: الصفحة نفسها .

(٧٦) مقال في الإسلام: ٦٧ .

(٧٧) البيان في تفسير القرآن :٨٢ .

(٧٨) المصدر نفسه :٨٣ .

(٧٩) قس ونبي: ٨٠ – ٨١ .

(٨٠) ينظر: العين ،٣٠٢، مادة (نحو)، مختار الصحاح: ٣٣٣، مادة (ن، ح، و) .

(٨١) ينظر: قطر الندى :

(٨٢) البيان في تفسير القرآن :٨١ .

(٨٣) البيان في تفسير القرآن :٨٢ .

* المصادر والمراجع *

❖ **القرآن الكريم.**

١- أبطال نهج الباطل وإهمال كشفا لعاطل: لفضل الله بن روزبهان الخنجي الشيرازي(ت٩٠٩هـ)، مطبعة دار الطباعة العامة / بأستانبول ،(د .ط)، ١٩٧١.

٢- بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، الناشر: دار الوفاء/ بيروت – لبنان، ط/ ٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٣- البيان في تفسير القرآن :السيد أبو القاسم الخوئي (ت١٤١١هـ)، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر/ بيروت، ط / ٤، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م .

٤- تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: علي شبري، دار الفكر/ بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٥- تاج اللغة وصحاح العربية :إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين/ بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .

٦- دلائل النبوة: لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الاصبهاني (ت٥٣٥هـ)، تحقيق: مساعد بن سليمان راشد الحميد، دار العصمة للنشر والتوزيع، (د .ت) .

٧- الدليل إلى منهج البحث العلمي: احمد سيد محمد، دار شمس المعرفة / القاهرة، ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٥م.

٨- سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، مطبعة دار الفكر/ بيروت – لبنات، ط/ ٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٩- ظواهر دلالية في التعبير القرآني مقاربة في المضمون وأدوات التعبير: د. عبد الأمير كاظم زاهد، بحث منشور في مجلة مآب، العدد / ٢، ٢٠٠٧م .

١٠- العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط / ٢، ١٤٠٩ هـ.

١١- فتح الباري في شرح صحيح البخاري :لشهاب الدين بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة / بيروت، ط/ ٢، (د . ت) .

١٢- الفرق بين الفرق: عبد القاهر بن محمد البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا / القاهرة، (د.ت).

١٣- قس ونبي :لأبي موسى الحريري، مطبعة دار لأجل المعرفة/ لبنان، (سلسلة الحقيقة الصعبة)، ١٩٨٥م .

١٤- قطر الندى وبل الصدى: لعبد الله جمال بن يوسف بن عبد الله بن هشام الأنصاري

(ت٧٦١هـ)، تحقيق: محي الدين بن عبد الحميد، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم/ إيران، (د.ت) ،١٤٠٤هـ .
١٥-الكتاب المقدس تحت المجهر: عودة مهاوش الأردني، مطبعة صدرا / قم، ط / ١، ١٤١٢هـ .
١٦-الكتاب المقدس (العهد الجديد): مترجم عن اللغة الأصلية، إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط / بيروت- لبنان، ط/ ٤، ١٩٩٣م .
١٧-الكتاب المقدس (العهد القديم): المترجم عن اللغة الأصلية، إصدار دار الكتاب المقدس في العالم العربي/ بيروت ،(د . ط)، ١٩٨٠م .
١٨-لسان العرب ،جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (ت ٧١١ هـ)، نشر آداب الحوزة/ قم، (د.ط)، ١٤٠٥ هـ .
١٩-اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: محيّ الدين عبد الحميد، دار المعرفة النظامية / الهند، (د . ط) ١٩٨٣م .
٢٠-مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦هـ)، دار الكتاب العربي/ بيروت، (د.ت).
٢١-معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: لأبي القاسم علي الأكبر الموسوي الخوئي (ت١٤١٣هـ)، دار الزهراء/ بيروت، ط / ٥ ،١٤١٣ - ١٩٩٢ م .
٢٢-مقال في الإسلام: للمستشرق الانكليزي جرجس سال، سلسة الإسلام من منظور أخر، تعريب: هاشم العربي، مطبعة بولاق / مصر، ط / ٣، (د . ت) .
٢٣-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: محيّ الدين عبد الحميد، جمعية المستشرقين الألمانية/ فيسبادون، ١٩٨٠م .
٢٤-الملل والنحل: لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة / بيروت، (د.ت) .
٢٥-منهج البحث الأدبي: د.علي جواد الطاهر،المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ سوريا، ط / ٣، ١٩٧٩م .
٢٦-الهداية: مجموعة المستشرقين الانكليز،(سلسة كتب الهداية بالغة العربية)، مطبعة معرفة المرسلين الأمريكان / مصر، (د.ت) .

❊ ❊ ❊